دراسات فى الأدب الانكليزى

٣ ـ وليم وردزورث

William Wordsworth

بقلم جريس القسوس

ـ أشعاره ونظريته فى الأدب

ظهرت الطبعة الأولى من ديوانه Syrical Balleds سنة ١٧٩٨ كما بينا سابقاً ، أما الطبعة الثانية فقد نشرت سنة ١٨٠٠ حاوية مقدمته الشهيرة التى ضمنها نظريته فى الأدب عامة وشعره خاصة دون خيفة أو تردّد . ولكولردج فى الطبعة الأولى من هـــذه المجموعة ثلاث قصائد . غيرأنه أضاف إليها قصيدتين أخريين ظهرتا فى الطبعة الثانية . وهذه القصائد الخمس هى « اللاّح القديم ، والعندليب ، و Foster-Mother tale ، و Dungeon ، والحبّ » .

ـ وما كاد الأدباء والكتاب يطلعون على آراء وردزورث فى مقدمة ديوانه ويقرأون أشعاره فى ديوانه حتى تناولوه بأقلام نارية وألسنة حادّة ، فسخروا ماشاء الله لهم أن يسخروا بآرائه وأشعاره . ولم يبق ديوانه فى شكل واحـد بل ظهر فى أوضاع شتى ، وكان الشكل الأخير الذى ظهر فيه سـنة ١٨٤٥ جامعا جزأين مع المقدمة ومذيلا بملحق فى (التعابير الشعرية) Poetic Diction

أما النظرية التى أودعها المقدمة فتتلخص فيما يلى : —

« على الشاعر أن ينتزع موضوعاته من الحوادث العادية المألوفة ، وأن يعبر عنها بلغة سهلة واضحة ليفهمها « الراعى والعالم » على السواء . أى لا تكون خلواً من البلاغة ، ولا تهبط الى درجة الركاكة والفهاهة . وعليه أيضاً أن يلبس الحوادث كساء من الخيال الرائع لكى تظهر وهى عادية مألوفة غير عادية ولا مألوفة ، وأن يقف تجاه كل حادث موقف العالم المدقّق المحقّق ، الذى يحلّل الأمور تحليلاً علمياً منطقياً ، فيبحث عن المسبّبات ويرجعها إلى أسبابها ، محكما فى كل حالة عقله فى التحليل وعاطفته فى التعبير . أما الشعر فهو الانبعاث الطبيعى للشعور القوى الزاخر ؛ وما الشاعر إلا إنسان يخاطب بشراً ، إنسان شـديد الاحساس والغيرة متضلّع من درس الطبيعة البشرية ، تنكشف له نواح فى الحياة ومظاهر فى الطبيعة تحتجب عن غيره ، وهو يعبّر عن موضوعه بلغته ليتغنّى بها الجميع . بهذا يمتاز الشاعر من سائر البشر عموماً ومن علماء الطبيعة بعض الامتياز خصوصاً »

ولقد نحا وردزورث فى انتخاب موضوعات أشعاره منحى إسحاق ملتن ووليم بلايك وروبرت برنز وقراى وغيرهم ، غيرأنه لم يقتصر على أسلوب واحـد فى النظم ، بل طرق معظم البحور والأوزان الشعرية التى سبقه إليها الشعراء قبله . أما سبكه اللفظى ففى غاية الدقة والبساطة ، وتراكيبه خالية من الألفاظ اللاتينية التى يكتظ بها شـعر ملتن ، ومن قالبية پوپ ، أو إبهامية برونتج الناجمة عن تطرّفه فى الايجاز . ويندر أن تجد فى شعره رجوعاً إلى الأساطير الأولى أو اقتباساً من الأدب (الأصولى) الكلاسيكى أو تقليداً له ، ولقد أكثر من دراسة الشعراء الذين سبقوه وخصوصاً شكسبير ، وملتن وجوسر وسبنسر وكوتز وقراى وتشبع بآرائهم وأساليبهم فنسج على منوالهم فى بدء حياته ، غير أنه عاد فابتدع له أداة للتعبير خاصة به . أما ميزات شعره فتتلخص فيما يلى :

بساطة الأسلوب وسهولة التعبير ، ووضوح المعنى فى أغلب الأحيان

انتزاعه موضوعات أشعاره من الطبيعة والحوادث اليومية والأشياء العادية المألوفة . وقد ورد ذكر هاتين الميزتين فى الكلام على مقدمة ديوانه

يولوها حقها من الاهتمام ، وأهيب بوزارة المعارف المصرية أن ترسل إلى تركية بعثة من طلبتنا النجباء كى يدرسوا فنون الموسيقى الشرقية الصميمة ، وينقلوا لنا كل ما تصل اليـه أيديهم قبل أن تتلاشى هذه الفنون ويتم حلول الموسيقى الغربية محلها ، وذلك أسوة بالبعوث التى ترسلها إلى أوربا ؛ وهناك يتشبع الطلبة بالموسيقى الغربيـة ولا يكونون فى المستقبل حرباً على الموسيقى الشرقية التى من العار أن تنهض على حساب الموسيقى الغربية أو تتلوث بدماء دخيلة فيتعكر صفاؤها . .

اسكندرية عبد الحميد رفعت شيحة

تصوف :

وهـذه إحدى خصائص الحركة الإبتداعية التى كان يمثلها شاعرنا فى بلاد الانـكليز أصدق التمثيل . ووردزورث يرى أن الله روحٌ تقطن فى جميع مظاهر الـكون أو الطبيعة الخارجية من هواء وجبال ورياح وصخور حتى الزهاة والحيوانات . وتظهر لنا هذه الفلسفة جليّـة فى قصيدته Tintern Abbey ، وتعرف عند أهل اللاهوت والصوفية « بشمول الألوهية » أو « وحدة الوجود » Pantheism ، « أى أن الله إنما هو القوى والنواميس الطبيعية وأنه حال فى كل شىء وليس مستقلاً » . على أنه لم يتمسك بهذه العقيدة تمسكاً دينياً ذهباً كما يظن بعضهم ، بل اتخذها عقيـدة شعرية وقتية دفعته عاطفتـه وروحه الشعرية إلى إيرادها فى سياق الـكلام

ولعه بالطفولة وأدب الطفل :

وهذا ظاهر فى معظم قصائده مثل « نحن سـبعة » ، وفى القصائد التى ورد فيها ذكر الطفلة « لوسى » . وتتجلى هـذه الخاصية بوضوح فى قصيدته « خواطر فى الخلود من ذكريات الطفولة » ؛ ففيها يرى أن الانسان أقرب ما يكون إلى الله وإلى السماء فى أوان الطفولة . وهو يؤمن بسابق وجود الانسان وأزليته (Preexistance) ، أى ان الانسان كان أصلاً فى السماء فهجرتها روحه وظهرت فى جسد بشرى على الأرض . فالانسان فى عهد الطفولة يكون بحكم الطبع قريباً جداً من الزمن الذى قضته روحه فى السماء ، لهذا يفضل عهدُ الطفولة عهدى الـكهولة والشيخوخة . إلا أنه يحسن بنا أن نرفق بالشاعر فلا نُجرى عليه الأحكام الجارفة فى كل ما نعزوه إليه من العقائد . فهو — كما بيّـنا سابقاً — لم يكن متعصباً لرأى أو لعقيدة واحـدة منظمة شأن كبار الفلاسفة أو اللاهوتيين وإنما كان شاعراً يكتب عن عاطفة شـديدة ، فهو لا يستقر على رأى من الآراء ما دامت العاطفة لا العقل هى الدافع والمحرك له فى أغلب منظوماته

الخيال الرائع

يمتاز وردزورث بالباسه الأشـياء الطبيعية المألوفة كساءً من الخيال الراقى ، وعنده أنه كلما ازداد الشاعر توسعاً وانطلاقاً فى عالم الخيال ازداد لذة واستمتاعاً فى الحياة . ويختلف عن كولردج باتخاذه عاديات الأشياء ومألوفها مواضيع تصويره وخياله متوخياً أن يبتدع مما هو عادىٌ ومألوف شيئاً جديداً مبتكراً . فبينما كولردج يتدرج من عالم الروح والخيال إلى عالم المادة والحقيقة ترى وردزورث يشرع من عالم المادة وينتهى عنـد التصاوير الشائقة والأخيلة الرائعة

غموضه معانيه

وهذه الميزة لا تلازم معظم أشعاره وإنما تصدق على البعض منها . وغموضه ناجم عن عجزه فى بعض الأحيان عن التمييز بين ما هو عادى مألوف وما يظنه غريباً نادراً ؛ هذا عدا جنوحه إلى إلباس الأشياء العادية حلّة من رائع الخيال مما يوقع القارئ فى ارتباك شديد يجعله غير قادر على إدراك المعنى الصحيح وتفهم ما يتوخى الشاعر إفهامه .

وعدا هذا يمتاز وردزورث بوصفـه الحيوانات والطيور الأهلية منها والبرية . ويؤخذ عليه ندور ورود النكتة فى أشعاره ، وأن أشعاره لا تلهب الحماسة فى نفس القارئ

ولـكى يتم لنا البحث فى أشعاره لا بدّ لنا من أن نقول كلمة فى قصيدتين كبيرتين من قصائده ألا وهما الفاتحة The Prelude والنزهة The Exeursion . أما « الفاتحة » فهى ترجمة وافية لحياة وردزورث الشعرية ، ففيها يبحث عن تطور نفسه الشعرى ونمو سليقته منذ عهد الطفولة . فى هذه القصيدة ملتقى حاضره وماضيه ، وفى هذا الملتقى مبعث لشعوره .. إذ أنه كلما ذكر أيام الصبى اللذيذة اختلجت فى نفسه عاطفة قوية وتملـكه شعور لذيذ لا يملك من بعثه شعراً حياً لا أثر للكلفة فيه . وللذاكرة المقام الأول والفضل الأكبر فى تصويره أحلام الطفولة وأيام الصبى ، إذ لولاها لنضب معين شعوره ولتحبس لسانه عن التعبير عما يجيش فى صدره من مشاعر وفى نفسه من خلجات ، ووقف قلمه عن وصف الأويقات العذبة الهنيئة التى قضاها تحت كنف أمه الرؤوم : الطبيعة بأبسط معانيها وأجلى مظاهرها . وهـذه القصيدة مهداة إلى صديقه الشاعر كولردج ، وتقع فى عدة أبواب يختص الأول منها بحياة الطفولة ، والثانى بحياة المدرسة ، والثالث بالسنين التى صرفها فى كمبردج ، والرابع فى حياة لندرة ومؤثراتها ، والخامس بزيارته الأولى لفرنسا والألب وإقامته فى فرنسا خلال الثورة الفرنسية ،

غير ذاكر شيئاً عن علاقته بأتيت قالون معشوقته للمعهودة

أما «النزهة» ففيها يحلق الشاعر ويسمو في عالم الروحيات إذ هي مجلى تأملاته في الفلسفة والاجتماع وعلم النفس والصوفية، وفيها يطرق شتى الموضوعات العلمية البحتة، كتركيب العقل ونشوئه، وفلسفة العواطف، والتأمل؛ غير أنه يكسوها حلة من الخيال، ويعبر عنها بأبسط التراكيب وأسلس العبارات وأوضحها، هذا إذا ضربنا صفحاً عن جنوحه في بعض الأحيان إلى الغموض في المعنى. «والنزهة» تقع في تسعة أجزاء مقتضبة، كل فصل منها حاو لقسم من أقسام القصة التي يسردها ويجعلها هيكل هذه القصيدة الكبرى

وهو في جميع مباحثه هذه لا يتوخى غير الصدق واظهار عظمة الخالق. أما مداز بحثه في هذه المواضيع فنفسه، لا لأنه صنع من جبلة غير التي صنع منها سائر البشر، بل لأنه أكثر علماً بنفسه من غيرها من النفوس

ولقد أثارت نظريته هذه وأشعاره جدلاً عنيفاً وبحثاً متواصلاً في البيئات الأدبية، فمن الأدباء من حمل عليه وطعن فيه، ومنهم من انتصر له. ومن الذين انتقدوه فرنسيس جفري وبيرون وهزلت، ومنهم أيضاً صديقه كولردج في فصل من كتابه (تراجم أدبية)، بيد أنه لم يكن هدّاماً في نقده ولا شديد التحامل عليه في تعليقه على آرائه كغيره من النقاد. أما إمرسن الكاتب الأمريكي الشهير فينتصر له، ويعدّ قصيدته «خواطر في الخلود من ذكريات الطفولة» التي تمثل عقيدة شاعرنا الفلسفية ونظريته الأدبية بعض التمثيل، من أروع بل أروع ماخلّفه لنا أدباء القرن التاسع عشر من القصائد. ولقد كان ديوان ورد زورث معواناً للفيلسوف الانكليزي الشهير جون ستوارت مِلْ على تخلصه في ربيع حياته من السوداء التي كانت تلازمه من حين إلى آخر، إذ وجد في قراءة القصائد الفلسفية والدينية منها راحة وعزاء بل خير شفاء له من دائه النفساني

ومؤرخو الأدب الانكليزي يجعلون السنة التي ظهر فيها ديوان وود زووث لأول مرة، أي سنة ١٧٩٨، فاتحة العصر الابتداعي، لأن أشعاره تمثل الحركة الابتداعية من الناحية الأدبية خير تمثيل. ولكي يتضح لنا معنى هذا القول علينا أن ننظر بعض النظر في خواص هذه الحركة، وخصوصاً الناحية الأدبية منها

(البقية في العدد القادم)

مرسي القوسي

في اللغة والأدب

المثنيات

للأستاذ محمد شفيق

إن من خصائص اللغة العربية التي امتازت بها على غيرها من اللغات الحية هذه المثنيات[1]. وقلما يخلو علم من علوم لغة الضاد من مثنيات إن قليلة أو كثيرة. وقد رأيت أن أقدم إلى قراء «الرسالة الغراء» أمثلة منها مرتبة على العلوم، مبتدئاً بالأدب واللغة لشدة علاقتهما بالرسالة، وإن كانت هي حفية بالثقافات الاسلامية والعربية وغيرها:

المثنيات في اللغة والأدب والنحو والصرف

(الابردان) الغداة والعشيّ، والظل والفيء، وفي الصحاح: الابردان: العصران. (الأبيضان) اللبن والماء، أو الشحم واللبن، أو الشحم والبياض، أو الخبز والماء، أو الحنطة والماء، أو اللحم والخبز، قال الشاعر:

ولكنه يأتي إلى الحول كاملاً ... ومالَ إلا الأبيضينِ شَرابُ

(الأجدّان) الليل والنهار، وكذلك الجديدان، والداثيان والطريدان، والعصران، والملوان، والأحدثان، والأصرمان.

(الأحران) الخمر واللحم، وفي المثل «أفسدَ الناسَ الأحران» قال الشاعر:

(١) وقسموا المثنى إلى نوعين: المثنى الحقيقي وهو مشهور، والمثنى التغليبي وهو تغليب احد المتجاورين والمتشابهين على الآخر فيجعل الآخر مسمى باسمه ثم يثنى ذلك الاسم قصداً إليهما جميعاً، والتغليب يكون تارة للشرف وأحياناً للشهرة وآونة للخفة كالعمرين لأبي بكر وعمر، والقمرين للشمس والقمر. قال الزجاجي ... قال المفضل الضبي ... وجه إلى الرشيد فخرجت حتى صرت إليه ... فقال يا مفضل عندك مسألة تسأل عنها، قلت نعم يا أمير المؤمنين قول الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال قد أفادنا هذا قبلك هذا الشيخ — يعني الكسائي وكان في المجلس — لنا قمراها يعني الشمس والقمر كما قالوا سنة العمرين يريدون أبا بكر وعمر، قلت ثم زيادة يا أمير المؤمنين، قال زد قلت: قل استحسنوا هذا؟ قال لأنه إذا لمجتمع اسمان من جنس واحد وكان أحدهما أخف على الأفواه غلبوه ... قال قلت قد بقيت مسألة أخرى، فالتفت إلى الكسائي وقال: أفي هذا غير ماقلت؟ قلت: بقيت الغاية التي أجراها الشاعر المفتخر في قوله، قال: وما هي؟ قلت: أراد بالشمس ابراهيم خليل الرحمن، وبالقمر محمداً صلى الله عليه وسلم، وبالنجوم الخلفاء الراشدين؛ فسر وأمر له بجائزة عظيمة.